التغرب في طلب العلم

إن التغرب في طلب العلم هو من العوامل الكبرى في ارتقاء امم الارض سواء الاسلام في أزهر تواريخه الماضية أو اوربا أو غيرها ، فتلك حقيقة بديهية لا يكلفنا الفكر العام اقامة برهان عليها ، وما سبب القصور النازل بالامم التي كانت متيقظة واصبحت نائمة سوى اكتفائها بما عندها وعدم طموحها لما عسى أن يكون غاب عنها .

لكنا لم نسمع قط بأمة ارسلت ابناءها لطلب العلوم الابتدائية أو الثانوية الا اذا كانت متبربرة أو زنجية خالية من كل علم وكل تهذيب لا توجد عندها مدارس ابتدائية ولا ثانوية ، أما من كان يوجد لديه مدارس ابتدائية وثانوية كالمغرب والحمد لله ، فهذا من العبث وقلة الاكتراث بالبنين ولا بالدين ان يرسلوا لتلقي العلوم الابتدائية أو الثانوية خارج القطر في أوربا أو الشام أو غيرها ، ولا شك أن البنين يكونون في سن لا يناسب الغربة فيضرّ ذلك بهم تعليماً وتهذيباً وينطبعون من الصغر بطابع اجنبي ويشبون على الاخلاق التي هي بعيدة عن اخلاق وطنهم وبئتهم ، ولا سيما بعثهم لاروبا في ذلك السن وهم لم يتمرنوا على الاخلاق العربية والعقائد الاسلامية فتضيع عليهم اخلاقهم ويسلب منهم معتقدهم ويخرجون لا هم اوروبيون ولا مسلمون .

وانا نعلم ان السبب الحامل للآباء على تغريب أبنائهم وقطع أكبادهم بأيديهم هو عاطفة الطموح الى المعالي وعاطفة حب الغنم للاولاد كي يكون لهم مستقبل زاهر ، ولكنا لو فحصنا عن هذه العاطفة لما وجدناها نشأت الا عن تقليد لمن فعلوا ذلك بابنائهم حين بلغوا سن الرشد وما بعثوهم الا لتلقي علوم عالية لا توجد مدارسها في المغرب أو بعثوهم وهم صغار ولكن حين لم يكن بالمغرب مدرسة اصلا والضرورة لها احكام ، على أننا رأيناهم رجعوا أسوأ حالا مما ذهبوا وما ضيعوه أكثر مما ربحوا .

فان قال قائل ان المدارس الثانوية والابتدائية اضحت الآن غير كافية ، فالجواب ان المغاربة ينبغي لهم ان لا ينظروا الى مصالحهم الشخصية وأن لا يقصر كل مغربي نظره على نفسه وقدرته على الانفاق على ولده ، فذلك من ضعف العاطفة الوطنية والدينية معاً ومن سقوط الهمة ان يكون المغاربة عالة على الخارج حتى في العلوم الابتدائية والثانوية ، ومن الدناءة ان يقوم الرجل بنفقة ولده التي لا تكلفه قليلا ولا يلتفت للمئين أو الآلاف من أهل وطنه ودينه الذين لم يجدوا مدارس تؤويهم ، فالعاطفة الحقيقية أن يؤلف المغاربة جمعيات علمية محضة غير مشوبة بشيء آخر تقوم بتعليم الابناء الذين لم تجد لهم الحكومة مقدرة على التعليم ، فيكون الاغنياء ينفقون على أولادهم ما كانوا سينفقونه عليهم في الغربة ويقومون بتعليم أولادهم وأولاد الفقراء معاً بالقدر الذي كان يمكن ان ينفقوه على أولادهم فقط وما ينفق على مائة في الخارج ينفق على الف في المغرب ، فليست هناك دولة تقوم بالتعليم العام وحدها بل لا بد من معونة الامة ، فكم توجد من جمعيات للتعليم خارجة عن الحكومة في أوروبا فرنسا وغيرها وفي مصر وتونس والجزائر ايضاً ، فعدد الاولاد الذين

يتعلمون على نفقة الحكومة في مصر هو بعض من كل، وهناك جمعيات وافراد يقومون بنفقة مدارس مثل مدارس الحكومة أو أرقى ولا يموت غني من أغنياء اروبا واميركا الا ويوصي بمال عظيم للتعليم ، فالواجب الوطني والديني يقضي على كل غني أو متوسط ان يتبرع بقدر من المال للتعليم لتزدهي البلاد وتتقدم ويظهر فيها الرقي الفكري الحقيقي الذي هو الحياة الحقة فما ينفقه كل فرد وحده على ولد له أو ولدين يمكن لو ضم الى ما ينفقه رجلان أو ثلاثة مثله لقام بمدرسة مجهزة باحدث جهاز .

والذي يعوزنا هو تفرق جامعتنا لفساد اخلاقنا الذي ادى الى انحلال روابطنا وضياع ثقة بعضنا ببعض ، وكل رجل أرسل أولاده خارج القطر في سن التعليم الابتداءي أو الثانوي فذلك دليل على أنه ممن وصفنا ويجب عليه أن يرجع لجادة الصواب ويسعى في الخير له ولابناء جنسه ولا يكون ممن يطلب السلامة لنفسه ولو غرق جنسه .

واعلموا أن هناك خطراً على البلاد في تغريب الابناء الى بلاد مختلفة فكل واحد ياتي من بلد غربته باقبح مما فيها غالباً ، وما جاء البلاء لتركيا الا من بعثات اوروبا المختلفة فكل بعثة جاءت بما في بلاد تغربها ومالت لسياستها فكان ذلك تفرقاً وتبديداً حيث عاد بارواح ومعتقدات متنافرة واخلاق غير ملتئمة فصاروا شيعاً واصبح كل فريق يميل للدولة التي تربى بآدابها وتخلق بأخلاقها فصعب التفاهم بين الاحزاب واستحال الائتلاف على مبادئ واحدة على ان الاغنياء لو الفوا جمعية للتعليم واصبح التعليم في بلادنا وعلى لغتنا ومبادينا فمن أفضل ما نجنيه أن تكون التربية واحدة والعقائد متحدة واللغة كذلك والاسلام لا شك انه يوجب علينا أن نحفظ عقائد أولادنا واخلاقهم ، ومن فوائد ذلك أن ينفق مالنا في ارضنا فيعود علينا ولا نخرجه لغيرنا . فالله الله في أوولادكم وأمتكم وأماناتكم .

(ش)

المجلة — وصلنا المقال أعلاه بدون امضاء ومع ذلك لم نتردد في نشره خدمة لمبدئ حرية الفكر وتشجيعا على مبادلة الآراء واعتناء بالكاتب الذي يظهر من مقاله انه ذو ثقافة عالية ومعرفة واطلاع .

ونحن لسنا على رأيه في كل ما قال ولا ضده في كل شيء .

نعم انه من العبث بالبنين أن يرسلوا الى الخارج لتلقي العلوم الابتدائية والثانوية — ونزيد حتى العالية — اذا كان كل ذلك في بلادهم ، ولاكن هل في المغرب تعليم ؟ وهنا فيما نظن أصل الخلاف بيننا وبين مراسلنا المفضال . ففي المغرب مدارس ولاكنها قليلة وفي المغرب تعليم ولاكنه سقيم ، وما دامت الحالة على ما هي عليه الآن فانا نظن ان صالح الوطن هو في بعث الاولاد الى الخارج رغم ما في ذلك من الضرر والعاقل من اختار أخف الضررين .

أما ما ذكره للكاتب من ان العقائد الاسلامية والقومية تضيع في أوربا فان أولادنا اليوم على خلاف ذلك بل هم في الخارج قدوة لبعثات أخرى في المحافظة على الاسلام والوطن ، وأكبر شاهد على ذلك « جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريس » .

وأما خوفه من تفرق وحدة البلاد لاختلاف الثقافة فنحن من ذلك أكثر خوفاً منه ، ولاكن الخطر مع الاسف حتى بين ظهرانينا اذ أن برامج التعليم بالمغرب لا زالت الى الآن لم توحد .

وأما اشارته الى أن الطلبة يرجعون وهم يميلون الى سياسة البلاد التي آوتهم وعلمتهم فان طلبتنا — الا القليل — يختارون فرنسا ، واذا كان من نتيجة مكثهم بها تنمية محبتها في قلوبهم فذلك ما نتمناه ونشجع عليه .

هذا وانا على رأي الكاتب تماماً في ضرورة تأليف جمعيات لتأسيس المدارس وطالما رجوناه من رجالنا العاملين .